مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 2 السنة: 2022
ص: 583 - 597 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

الملكة اللغوية؛ مقاربة لسانية بين تشومسكي وأعلام الفكر اللغوي العربي القديم.

The Linguistic Proficiency; a Linguistic Approach Between Chomsky and the Flags of Ancient Arabic Linguistic Thought.

د–منيرة لعبيدي / D–Mounira Labidi *

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي (الجزائر)

Elchahid Hamma Lakhdar University of El-oued (Algeria)

labidi-mounira@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2022/03/05	تاريخ القبول: 2022/04/01	تاريخ النشر: 2022/06/02

ملخص البحث

يهدف هذا المقال إلى التعريف بمفهوم الملكة اللغوية عند أعلام الفكر اللغوي العربي القديم من خلال رصد وجوه الائتلاف والاختلاف بين آرائهم وآراء اللساني نعوم تشومسكي، بعقد مقاربة لسانية بينهما من حيث مفهوم الملكة، وأنواعها، وآلياتها، ومعوقاتها، وقد أفرزت نتائج البحث على أن القدامى كان لهم باع عتيد في هذا الموضوع وخاصة عند ابن خلدون.

الكلمات المفتاح : ملكة، توليدية، تحويلية، كفاية، فطرية، حدس

Abstract :

The present article aims at defining the language profeciency, according to old arabiclinguistical thought scholars. Through investigating the similarities and differences between their own ideas, and NOAM Chomsky ones. Via a linguistical approach, between them, in terms of definition of the concept of language profeciency ; types, mechanisms and its obstacles. The reserch results revealed that the elders had a long experience in the topic, especially for IBN Khaldoun.

key words: proficiency , generative, transformative, competence , innate, intuitive.

* منيرة لعبيدي: labidi-mounira@univ-eloued.dz

مقدمة:

تعد النظرية التوليدية التحويلية لنعوم تشومسكي من أبرز النظريات الألسنية التي لقيت رواجا واسعا في مجال البحث اللساني، لما تميزت به من حركة ديناميكية تجديدية على مستوى الفكر والمنهج. فهذه النظرية قد فجرت ثورة ألسنية في مسار الدرس اللساني منذ ظهوره على يد العالم اللساني فردينان دي سوسير. فبفضلها لم يعد الدرس اللغوي قائما على الوصف البنيوي وحسب، بل تعداه إلى التحليل والتفسير متخذا من المنهج العقلاني وسيلة لدراسة البنية اللغوية داخليا وخارجيا، وهو ما خوّل لهذه النظرية أن تتخطى حدود الدراسة الشكلية (البنية) لتتساءل عن طبيعة القدرة الخفية التي يمتلكها الإنسان والتي تمكنه من إنتاج وفهم لغته في كل آن ومهما كانت طبيعة الظروف المحيطة به.

إن هذه القدرة تسمى الملكة اللغوية أو الكفاية اللغوية وهي خاصية مشتركة بين كل البشر، يمتلكها الإنسان منذ ولادته ويتم تعزيزها بالاندماج مع أصحاب اللغة الأم. وهذه القدرة تمثل موضوع النظرية التوليدية التحويلية ومحور بحثها، وقد استوحى تشومسكي ماهيتها من الفكر الفلسفي القديم.

ومن ثم نطرح الأسئلة التالية:

* هل عرف الدرس اللغوي العربي القديم مفهوم الملكة اللغوية ؟

* ما هي أهم وجوه الاختلاف والائتلاف بين تشومسكي وأعلام الفكر اللغوي العربي القديم في هذ المسألة ؟

أولا: مفهوم الملكة اللغوية عند تشومسكي:

تمثل الملكة اللغوية جوهر النظرية التوليدية التحويلية وموضوعها الرئيس، فقد خالف بها **تشومسكي** مبادئ السلوكية التي اعتبرت الإنسان ألة تخضع نشاطه اللغوي إلى قانون ميكانيكي فيزيائي واحد وثابت هو(مثير و استجابة). وفي مقابل ذلك ذهب تشومسكي إلى أن الإنسان يملك قدرة لغوية عقلة ابتكارية، تجعل استعماله اللغوي متجددا باستمرار ومتحررا من كل المثيرات، خارجية كانت أم داخلية، كما تمكنه من استعمال اللغة كوسيلة تفكير وتعبير ذاتيين.[1]

وهذا يعني أن تشومسكي يقرّ بأن العقل البشري هو مصدر الطاقة الابداعية عند الإنسان، وهو خاصية مشتركة بين بني البشر، ينمو ويتطور بنموه الفزيولوجي والسيكولوجي[2]. إذا فالعقل هو المسؤول عن تفسير وتحليل ظاهرة الإبداع اللغوي عند الإنسان. وهو ما جعل تشومسكي يؤمن بأن بنية اللغة تحددها بنية العقل الإنساني، وأن خصائص اللغة الكلية تمثل قاسما مشتركا بين الجنس الإنساني، وأن دراسة

المعرفة اللغوية، التي هي خاصية إنسانية مميزة وجزء لا يتجزأ من المعرفة الإنسانية بصورة عامة، صار أمرا حتميا لتقديم نظرة واضحة عن بنية اللغة ومميزاتها الإنسانية واكتسابها وعلاقتها بالفكر الإنساني [3] وفي هذا الصدد بيّن تشومسكي أن نظريته قد حولت مركز الاهتمام من السلوك الفعلي إلى دراسة نظام المعرفة التي تكمن وراء استخدام وفهم اللغة. وبصورة أدق حولت مركز اهتمامها إلى دراسة الموهبة الفطرية المسؤولة عن هذه المعرفة، فكان التحول في الاهتمام تحولا من دراسة اللغة المجسدة إلى دراسة اللغة المحصلة والمتمثلة داخليا في العقل. ومن ثم فإن النظرية التحويلية تهدف بالضبط إلى تصوير ما يعرفه المرء عندما يعرف اللغة، أي أن هدف النحو التحويلي هو تحديد خصائص المبادئ الفطرية المحددة بيولوجيا والتي تؤلف مكونا واحدا من مكونات العقل الإنساني وهو الملكة اللغوي[4].

ومن هذا المنطلق سمى تشومسكي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية التواصل **بالكفاية اللغوية**، وهي بمثابة ملكة لا شعورية، تجسّد العملية الآنية التي يؤديها متكلم اللغة بهدف صياغة جمله، وذلك طبقا لتنظيم القواعد الضمنية الذي يقرن بين المعاني والأصوات اللغوية. فالكفاية اللغوية أو الملكة اللغوية هي التي تساعد المتكلم الذي لا يملك معرفة واعية بقواعد لغته على استعمال لغته استعمالا سليما، كما تساعده على تمييز صحيح الكلام من خطئه عند سماعه.[5] يقول تشومسكي: "يجب أن نعتبر أن الكفاية اللغوية أي معرفة اللغة، هي بمثابة تنظيم مجرد مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير متناهي من الجمل الممكنة".[6]

وبناء على ما سبق، نستنتج أن الملكة اللغوية عند تشومسكي تتمظهر من خلال خصائص لغوية أخرى ترتبط بها ارتباطا وثيقا، وهي:

1 – الإبداعية: وتعني استعمال اللغة استعمالا تجديديا، إنها تمثل القدرة التي يمتلكها المتكلم، والتي تمكنه من إنتاج عدد غير محدود من جمل اللغة، انطلاقا من عدد محدود من القواعد المخزّنة في ذهن المتكلم تخزينا فطريا.[7]

2 – القدرة الفطرية: وهي التي سماها تشومسكي بالكليات اللغوية أو الملكة الفطرية ، وهي قواعد عامة تجمع بين اللغات رغم تنوعها واختلافها، ومهمة اللساني هي اكتشاف هذه الكليات ووصفها.[8]

3– **الحـدس اللغـوية**: تسمى مقدرة المتكلم على التمييز بين الجملة الصحيحة والجملة المنحرفة بالحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة. وهو جزء من كفاية الانسان اللغوية أي جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة، فوظيفة الكفاية اللغوية ليست إنتاج الجمل وحسب، بل الحكم على أصوليتها من عدمها.[9]

4– **الأداء اللغوي** : هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، وفيه يعود المتكلم بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استخدم اللغة في مختلف ظروف التكلم. ومن مميزاته أنه يتفق أو يختلف وقواعد اللغة التي تمثل الكفاية اللغوية تبعا لظروف المتكلم الذي هو عرضة لمؤثرات خارجة عن اللغة كالنسيان والانفعال والتكرار[10].

وعليه فإن الكفاية اللغوية تعني المعرفة الضمنية للغة، والأداء اللغوي هو الإنجاز الفعلي لهذه المعرفة، أي أن الكفاية اللغوية هي التي تقود استراتيجية الأداء الكلامي وتوجهه، ومن ثم فإن المشكلة التي تعترض الباحث اللغوي، هي قدرته على تحديد تنظيم القواعد الضمنية الذي اكتسبه الإنسان منذ طفولته، والذي يستعمله في أدائه الفعلي، من خلال معطيات الأداء الكلامي[11].وفي هذا المقام يقول تشو ميسكي : " إن من يتكلم لغة معينة يدري على العموم كيف يستعملها للوصول إلى أهداف معينة، لذا نستطيع القول أن هذا الإنسان قد اكتسب تنظيم كفاية مراسية تتواءم مع كفايته اللغوية التي تختص بالقواعد"[12].

وبناء على ما سبق، يمكن توضيح العلاقة القائمة بين العناصر السابقة على النحو الآتي:

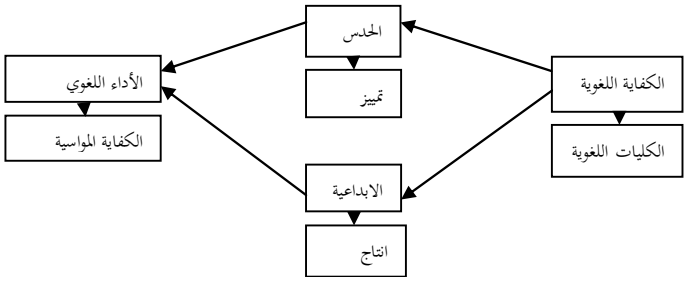

وفي هذا المقام نطرح السؤال التالي: " هل الملكة اللغوية تتكون من الكليات اللغوية وفقط؟ والجواب: طبعا لا، لأن الكليات اللغوية سمة عامة بين اللغات، ولو كان الأمر كذلك لكان العالم كله يستعمل لغة واحدة مشتركة. إذن مما تتألف الملكة اللغوية؟

يرى تشومسكي أن الملكة اللغوية هي وحدة من وحدات العقل الإنساني، " وطبيعة هذه الملكة هي مادة بحث النظرية العامة للبنية اللغوية التي تهدف إلى اكتشاف العناصر المشتركة بين ما يمكن تحققه من اللغات الانسانية. وغالبا ما تسمى هذه النظرية اليوم ب (النحو الكلي) الذي يمكن أن ينظر إليه على أنه تحديد لسمات ملكة اللغة المحددة جينيا. كما يمكن للمرء أن ينظر إلى هذه الملكة على أنها أداه اكتساب

اللغة أي مكون فطري من مكونات العقل الإنساني، يؤدي إلى ايجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة. فهي أداة تحول التجربة إلى نظام مكتسب من المعرفة أي إلى معرفة لغة أو أخرى." [13]

نفهم من هذا أن الملكة اللغوية تقوم على مكون أساسي عام هو (النحو الكلي)، وهذا الأخير هو المسؤول عن تكوين المعرفة اللغوية لدى المتكلم على النحو الآتي:

الملكة اللغوية ⟵ النحو الكلي + النحو الخاص .

النحو الكلي ⟵ الكليات اللغوية (الكفاية الفطرية)

الكليات اللغوية ⟵ القواعد العامة (قاعدة الزيادة ،الحذف ،التقديم ...)

النحو الخاص ⟵ القواعد الخاصة للغة الأم(كفاية مكتسبة)

القواعد الخاصة ⟵ (قاعدة الفاعل ،الفعل ،المفعول به...)

إذا فالقواعد العامة تهتم بمبادئ اللغة الثابتة والدائمة والعامة والقائمة بصورة مشتركة ضمن كفاية متكلم أية لغة من اللغات الإنسانية والتي لا تتغير نسبة لتنوع البشر، بينما تهتم القواعد الخاصة بالأنظمة البنيانية والمستعملة في لغة معينة[14].وهذا يعني أن الملكة اللغوية أو الكفاية اللغوية هي نتاج تفاعل الكفاية الفطرية مع الكفاية المكتسبة أي تفاعل القواعد العامة مع القواعد الخاصة حيث تمثل القواعد العامة المبادئ الأولية لهذه الكفاية. ويمكن تلخيص ذلك على النحو الآتي:

تفاعـــــل

الكفاية الفطرية + الكفاية المكتسبة ⟵ الكفاية اللغوية

(القواعد العامة) (القواعد الخاصة) البيـــــئة

ثانيا: الملكة اللغوية عند أعلام الفكر اللّغوي العربيّ :لقد اهتم علماء اللغة العربية بمصطلح الملكة في معاجمهم وأولوه عناية خاصة لما له من علاقة بمصطلح الملك والملكوت الذي يدل على وحدانية الله وربوبيته لهذا الكون. والمتصفح لهذه المعاجم يلمس إجماعا يوحي بأن مصطلح الملكة يشير إلى دلالتين لا ثالث لهما، وهما:

1-القدرة والسيطرة والشدة والتّملك.

2-السّجية والخلق والطبع الذي ينشأ مع المرء على الفطرة ويتطور حتى يصبح صفة راسخة فيه.

ومن أبرز الشخصيات التي أشارت إلى ذلك **العلامة الشريف الجرجاني** في كتابه التعريفات حيث قال:" هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ويقال لتلك الهيئة

كيفية نفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها، وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقا"[15].

تكـــرار

فعل ⟵ حالة (غير مستقرة) ⟵ ملكة (صفة راسخة)= عادة \ خلق

إذا فالملكة عند الجرجاني تتميز بما يلي:

1- إنها خاصية صورية غير ملموسة لأنها تتعلق بالجانب النفسي.

2- إنها غير فطرية، ويتم اكتسابها عن طريق التكرار لتعزيز الفعل وتثبيته حتى يصبح صفة قارة في النفس تكافئ السلوك الفطري الذي عبّر عنه بكلمة(عادة أو خلق) .

وقد ذهب **ابن خلدون** مذهب الجرجاني في اعتبار أن الملكة صفة راسخة تحصل بتكرار الفعل الذي تعود منه للذات صفة، ثم تكرر فتكون حالا أي صفة غير راسخة ثم يزداد التّكرار فتكون ملكة راسخة[16].

وعلى ما يبدو فإن ابن خلدون يميل إلى اعتبار الملكة فعلا اختياريا يخضع لرغبة الفرد في اكتساب هذه الملكة من عدمه، أي أن الملكة عنده ليست فطرية. وقد دل على ذلك كلامه عن الفرق بين معنى الملكة والطّبع، إذ قال: " يظن كثير من المغفلين ممن لا يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي، ويقول كانت العرب تنطق بالطبع، وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع، وهذه الملكة كما تقدم، إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها." [17] وإذا، فابن خلدون يختلف مع تشومسكي في كون الملكة اللسانية مكتسبة وليست فطرية، لكنه يتفق معه في جملة من القضايا أهمها:

أ_ الملكة هي مجموع القواعد المختزنة في الذهن، يقول ابن خلدون: " فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام"[18]. وهذه القواعد تمثل (النحو الخاص)، وقد أطلق عليها اسم الصناعة كناية عن علم النحو.

ب _كل ملكة لسانية تتمظهر في فعل لساني هو بمثابة الإنجاز الفعلي لها، وهو ما يقابل الأداء اللغوي عند تشومسكي. يقول ابن خلدون: " اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك

العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان."[19]

ج ــ يعد الذوق من أهم دعائم الملكة، فبواسطته يستطيع المتكلم أن يتحرى الهيئة المفيدة لكلامه نظما ودلالة، كما يستطيع بواسطته أن يميز التراكيب التي لا تجري على منحى أساليب لغته، ومن شروط سلامة الطبع و الفهم.[20] وهذا يعني أن الذوق عند ابن خلدون هو بمثابة الحدس اللغوي عند تشومسكي.

وعلى الرغم من تشبث ابن خلدون بفكرة عدم فطرية الملكة اللغوية إلا أننا نجده في موضع آخر من مقدمته يثبت عكس ذلك، ففي الفصل المعنون بـ (فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم)، بيّن ابن خلدون أن "صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقائسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا."[21]

إن في هذا القول إشارة واضحة إلى أن صناعة العربية هي مجموع القواعد الخاصة باللغة العربية والتي تمثل نحو اللغة عربية أي (قواعد خاصة)،بينما الملكة اللسانية هي المعرفة الضمنية بهذه القواعد والتي تظهر عند الاستعمال اللغوي. وهذا يعني أن" الملكة هي غير صناعة العربية وأنها مستغنية عنها بالجملة"[22]. وقد ضرب لذلك مثلا بجهابذة من النحاة و المهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين، ومع ذلك يلحنون ولا يجيدون تأليف الكلام على أساليب اللسان العربي. وفي مقابل ذلك هناك الكثير من الأدباء الذين يملكون قريحة لغوية سليمة، وهم لا يفقهون من المسائل اللغوية إلاّ قليلها. وهنا نطرح السؤال التالي: كيف استطاع هؤلاء الأدباء إنتاج هذا الكم الهائل و الرائع من المنظوم و المنثور دون معرفتهم بقواعد لغتهم ؟

إن إجابة هذا السؤال نجدها عند تشومسكي والتي مفادها أن هؤلاء الأدباء لهم قدرة فطرية هي التي ساعدتهم على إنتاج هذا الكم الهائل من الإبداع الأدبي، وأن هذه القدرة قد تعزز نشاطها من خلال تفاعلهم مع بيئتهم، فاكتسب أصحابها أساليب الخطاب بالدربة والمران وأحيانا دون قصد، وهذا يعني أن الملكة اللغوية تتكون في الأصل من (ملكة فطرية + ملكة مكتسبة)، كما سبق شرحه، وفي ذلك دليل واضح على أن الملكة اللغوية عند ابن خلدون تتكون من جانبين (فطري ومكتسب) كما يراها تشومسكي.

ومن العلماء العرب الذين نحو هذا المنحى في شأن الملكات **أبو نصر محمد الفرابي** في كتابه (الحروف)، حيث بين أن الإنسان "إذا خلا من أول ما يفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة ...وأول ما يفعل شيئا من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية، لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة، وإذا كرر فعل شيء من نوع مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية"[23]. من هذا القول نخلص إلى أن :

-الملكة عند الفرابي تنقسم إلى نوعين خلقية (فطرية) وصناعية (مكتسبة).

- الملكة الفطرية أسبق من الملكة الصناعية.

- الملكة تثبت وترسخ بالتكرار والاعتياد.

ثالثا: أنواع الملكة

من خلال ما سبق عرضه، يمكن حصر أنواع الملك اللغوية (الكفاية اللغوية) عند تشومسكي في ثلاثة أنواع، وهي: الملكة الفطرية، والملكة المكتسبة، والملكة المراسية .

أما عند **ابن خلدون** فهي كثيره، نوجزها فيما يلي:

يقول ابن خلدون: " اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها في اليد، فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرا في اللغة العربية"[24]. في هذا القول إشارة إلى ثلاثة أنواع من الملكة، وهي :

أ _**ملكة اللسان**: وهي معرفة المتكلم بكل قواعد اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

ب_ **ملكه الخط**: وهي معرفة المتكلم بقواعد اللغة التي يتكلمها كتابة .

ج_ **ملكة العجمة**: وهي ملكه تعيق اكتساب ملكة اللسان العربي وهي واضحه عند غير أهل اللغة العربية.

وقد بين ابن خلدون أن تمام الملكة يكون في امتلاك المتكلمين لملكة العبارة (ملكة اللسان)، وملكة الخط معا، فبهما يصبح فهم الأقوال من الخط والمعاني كالجبلة الراسخة، إذ ترتفع الحجب بينه وبين المعاني. وربما يكون الدّأب على التعليم والمران على اللغة وممارسة الخط يفضيان بصاحبهما إلى تمكن الملكة. ويمكن تمثيل هذه الملكات على النحو الآتي:

الملكة التامة = ملكة اللسان +ملكة الخط.

الملكة الناقصة = الملكة التامة +ملكة العجمة.

وقد أطلق ابن خلدون على **الملكة الناقصة** اسم (**الملكة الممتزجة**)، وهي عبارة عن خليط بين الملكة الأولى للعرب والتي تمثل اللسان الأصلي مع الملكة الثانية التي تمثل اللسان الأعجمي، والملكتان في علاقة مطردة فيما بينهما، فكلما كانت الملكة الأولى أرسخ تفوقت على الملكة الثانية والعكس صحيح .[25]

ويمكن ضبط هذا الكلام في نظرية عامة على النحو الآتي:

الملكة الممتزجة ← الملكة الأولى + الملكة الثانية.

الملكة الأولى (فطرية). ← اللسان الأصلي

الملكة الثانية ← اللسان الأعجمي

الملكة الممتزجة تكافئ اللسان الأصلي ← الملكة الأولى أرسخ من الملكة الثانية.

الملكة الممتزجة تكافئ اللسان الأعجمي ← الملكة الثانية أرسخ من الملكة الأولى.

إلى جانب هذه الملكات أشار ابن خلدون إلى ملكات أخرى هي:

1 – ملكة البلاغة: وهي التي تهدي البليغ إلى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم[26]

، وهي في عمومها تابعة لملكة اللسان لأنها متعلقة بقواعد اللغة من حيث النظم والأسلوب.

2 – الملكة الصناعية: وهي الملكة التي تتدافع فيها ملكتان على المحل، فإذا سبقت الثانية الأولى قصرت الأولى عن تمام الملكة اللاحقة، لأن قبول الملكات وحصولها للطباع التي على الفطرة الأولى أسهل، وإذا تقدمتها ملكات أخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعائقة عن سرعة القبول، فوقعت المنافاة وتعذر التمام في الملكة, وهذه الملكة هي نفسها ملكة العجمة[27] .

رابعا: آليات اكتساب الملكة:

1-**الانغماس اللغوي:** ويقصد به أن ينغمس المتكلم في بيئة لغوية سماعا واستعمالا لمده زمنية طويلة، يسمع أصواتها، ويعي تراكيبها، وينسج على منوالها، ويظل على هذه الحالة يكرر حتى تصير صفة راسخة فيه أي ملكة. وقد أشار إلى ذلك عبد الرحمن الحاج صالح في معرض حديثه عن سبل تكوين الملكة اللسانية كمنهج فعّال في تعليم اللغة الأم أو اللغة الثانية، فبين أن الملكة اللغوية لا تنمو ولا تتطور إلا في بيئتها الطبيعية أما خارج هذا الجو فصعب جدا، فمن أراد أن يتعلم لغة من اللغات فعليه أن يعيشها مدة

من الزمن، فلا يسمع غيرها ولا ينطق بغيرها، وأن ينغمس في بحر أصواتها كما يقولون لمدة من الزمن كافية لتظهر فيها هذه الملكة.[28]

ويعد الانغماس شرطا أساسيا في النظرية التوليدية التحويلية، فموضوعها يرتكز على معاينة إنسان متكلم، مستمع مثالي، تابع لبيئة لغوية متجانسة تماما، ويعرف لغته جيدا، وهذا يعني أن البيئة المتجانسة شرط أساسي في توفير الحمام اللغوي المناسب لتكوين الملكة اللغوية. ولقد أكد تشومسكي أن الأطفال يولدون وليس لديهم استعداد لتعلم لغة دون أخرى، ولذلك يمكن أن نفترض أن جميع الأطفال لديهم قدرة على تعلم اللغات مطلقا دون لغة بعينها، فإذا ما أدرج هؤلاء الأطفال في ظروف طبيعية أصبحوا من أبناء اللغة التي يسمعونها في المجتمع الذي ولدوا فيه[29] .

وعليه عدّ تشومسكي آلية السماع عاملا مهما في تكوين الملكة اللغوية لأنها وسيلة المتعلم للاندماج في البيئة اللغوية التي ترعرع فيها، فالطفل يكتسب لغته عن طريق سمعه جملها ومحاولة تكلمها، ولا يحتاج إلى من يمده بصورة منظمة بالمادة اللغوية.

ولقد تنبها ابن خلدون إلى هذه القضايا منذ زمن بعيد، عندما أكد أن السمع هو أبو الملكة اللسانية، وأن الطفل يكتسب لغة البيئة التي تربى فيها وسمع خطاباتها خلال نموه الطبيعي، في إشارة منه إلى أن الصبي يسمع استعمال المفردات فيلقنها، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها، ثم لا يزال سماعه يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة[30].

وفي السياق نفسه، أكد ابن خلدون أن اكتساب اللغة عن طريق السمع لا تتحكم فيه العوامل الوراثية، وإنما يخضع لظروف البيئة اللغوية التي ينمو فيها الطفل بالمعايشة اليومية لما يسمعه. وفي ذلك يقول: " لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وتربى في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه، وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث تحصل الملكة و يصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وتربى بين أحيائهم"[31]

2-الحفظ والتكرار:

هاتان الخاصيتان تمثلان حجر الأساس في العملية التعليمية، وهما متلازمتان، ولا يمكن تحقق إحداهما دون الأخرى،. فالحفظ لا يقع دون تكرار، والتكرار لا يكون إلا لغاية تثبيت الشيء أي حفظه. وقد تنبه ابن خلدون إلى هذه المسألة عندما بين أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام

العرب حتى يرتسم في خيال المتكلم المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم، فينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن القصد.[32]

كما بين ابن خلدون أن الحفظ لا يحقق غايته إلا بأمرين هم:

* **الفهم**: فلا تحصل ملكة ما يحفظه المتكلم إلا بعد فهمه.

* **التكرار**: يرى ابن خلدون أن الملكة تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه، ولا تحصل بمعرفة القوانين العلمية التي استنبطها أهل البيان، لأن هذه القوانين تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها[33] .

ويمكن توضيح ذلك على النحو الآتي:

(الحفظ + الفهم) ← التكرار ← حصول الملكة

خامسا: العوامل المؤثرة في الملكة

يرى تشومسكي أن العوامل المؤثرة في سلامة الملكة اللغوية هي عوامل متشابكة وخارجة عن إطار اللغة، منها: الذاكرة، الانفعال، الانتباه...الخ، أي تعود إلى أحوال الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المحيطة بالمتكلم[34].

أما ابن خلدون فقد أرجع العوامل المؤثرة في الملكة اللغوية إلى العوامل الخارجية الآتية:

1-الاختلاط: وهو تسرب خصائص اللغة الثانية إلى اللغة الأصلية مما يؤدي إلى فساد ملكة اللسان الأولى، كما حدث للسان العربي عندما اختلط مع الأعاجم، إذ تكونت عند أجياله ملكة ناقصة ناتجة عن سماع أساليب لغوية جديدة، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدث ملكة ناقصة عن الأولى، مما أدى إلى فساد اللسان العربي.

2-العجمة: هي في حد ذاتها ملكة عند أهلها، وقد صارت عاملا مؤثرا على ملكة اللسان العربي عندما شرع أهلها في تعلم اللغة العربية فزاحمتها ففسد لسانهم ، لأن الطبيعة البشرية لا تتسع إلا لملكة واحدة، وفي الغالب التي نشأ المتكلم وترعرع في بيئتها، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "فإذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرا في اللغة العربية لما قدمناه من أن الملكة إذا تقدمت في صناعة بمحل، فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة أخرى"[35].

سادسا: كيفية حصول الملكة اللسانية

يرى تشومسكي أن الاستعمال اللغوي لا يخضع لأي مثيرات ملحوظة، بل هو نشاط متجدد وملائم للظروف الكلامية التي لا ترتد إلى خارج إطار التفسير الآلي الميكانيكي وتندرج في مجالات الإبداع الفكري الإنساني، وعلى هذا الأساس رفض تشومسكي محاولات علم النفس السلوكي تفسير اللغة في إطار نظرية المثير والاستجابة، لأنها في نظره محاولات عاجزة، لعدم اعتقاد أصحابها بأن وراء عملية اكتساب اللغة هناك قدرة عقلية فطرية قائمة بصورة طبيعية عند الطفل وتعدّه لاكتساب اللغة.

إن الطفل في نظر تشومسكي قادر على اكتساب أي لغة إنسانية من دون تمييز، لأنه يمتلك ضمنيا الأشكال العامة المشتركة بين كل اللغات (القواعد الكلية) كجزء من كفايته الذاتية الفطرية، وعليه فإن عملية اكتساب اللغة عنده بمثابة إجراء يقوم به لاكتشاف قواعد لغته بالذات من ضمن القواعد الكلية الكامنة ضمن كفايته اللغوية الفطرية التي تعمل من خلال تفاعلها مع المادة اللغوية التي يتعرض لها الطفل.

وقد شرح تشومسكي مراحل اكتساب الملكة على النحو الاتي:

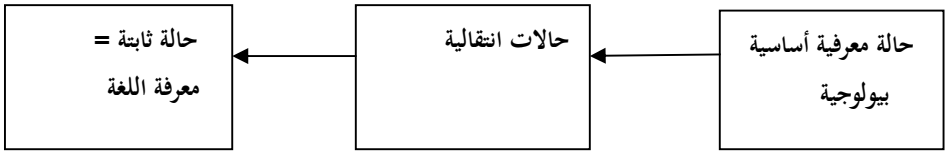

إذ تمثل المرحلة الأولى الجانب الفطري في الملكة اللغوية، وهو القواعد الكلية التي تساهم في بناء المعرفة اللغوية الثابتة من خلال تفاعلها مع الإثارة الملائمة في مراحل النمو اللغوي للطفل والتي تمثل بدورها المرحلة الثانية (الانتقالية)[36].

أما عند ابن خلدون فالملكة اللغوية مكتسبة وليست فطرية، قوامها تتابع الفعل و تكراره، و إذ ا أهمل هذا الأخير لا تتشكل الملكة الحاصلة عنه، وذلك وفقا للمعادلة التالية:

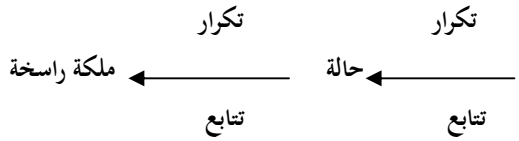

وهي نفس المعادلة التي ذكرناها سابقا عند الشريف الجرجاني، غير أن ابن خلدون زاد عليها مرحلة (صفة).

أما الفرابي فيرى أن أساس الملكة هو الجانب الفطري، وبالتكرار والتفاعل مع المجتمع يصبح ملكة، وذلك على النحو الآتي:

فعل فطري ⟵ **تكرار** ⟵ **(ملكة اعتيادية)**.

ونفس الفكرة نجدها من قبل **عند الخليل بن أحمد الفراهيدي** عندما أشار إلى أن العرب نطقت على سجيتها وطباعها أي على الفطرة مما ساعدها على معرفة مواقع كلامها فقام في عقولها علله[37]

الخاتمة:

وفي نهاية هذا العرض نصل إلى أن موضوع الملكة اللغوية قد لقي عناية خاصة في تاريخ الفكر اللغوي العربي لما له من تأثير على سلامة اللغة العربية التي لها علاقة وطيدة بالقرآن الكريم، وعلى هذا الأساس ولع بها نخبة من أعلامنا المفكرين وفي مقدمتهم ابن خلدون الذي أعطى وصفا موسعا للملكة اللغوية من حيث المفهوم وطرق حصولها، وهذا ما يوحي لنا بأن تشومسكي كان له اطلاع واسع على تراثنا اللغوي، كما كان لهذا التراث العريق تأثير كبير على الكثير من مفاهيم النظرية التوليدية التحويلية.

وعموما يمكن أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه النقاط:

1- أساس تكوين الملكة اللغوية عند تشومسكي هي القواعد الفطرية التي تتفاعل مع البيئة اللغوية للمتكلم و تكون معرفته اللغوية بها أي أن عملية الاكتساب هي حالة لاحقة بعد الحالة الأساسية وهي الكفاية الفطرية.

2- اختلف علماء اللغة بين فطرية الملكة اللغوية واكتسابها، فابن خلدون والشريف الجرجاني يميلان إلى اعتبارها حالة تتعزز بالتكرار فتصبح ملكة، بينما الفراهيدي والفرابي فيميلان لوجود قدرة فطرية للمتكلم، أي ملك فطرية، هي المسؤولة عن تعريف المتكلم بلغته العربية.

3- تتكون الملكة اللغوية عند تشومسكي من قواعد كلية هي أساس تكوين القواعد الخاصة، بينما تتكون الملكة اللغوية عند ابن خلدون من قواعد خاصة باللغة الأم. وعلى هذا الأساس يرى ابن خلدون أن معرفة المتكلم بقواعد لغته لا تعني تحصيله للملكة اللسانية، فقد يكون المتكلم ذو ملكة لسانية عالية ولا يعرف قواعد لغته، والعكس صحيح.

4- يعتبر كل من تشومسكي وابن خلدون أن السمع أهم دعائم الملكة اللغوية في عملية التعلم، وعلى هذا يجب أن تراعي المناهج التعليمية في المدارس هذه الخاصية لتقوية ملكة التلاميذ، فكلما كانت

الأساليب والجمل التي يسمعها التلميذ سليمة وتتطابق مع لغته، كلما كان تعلمه لها سهلا وأيسر، يعني كلما كانت البيئة اللغوية التي ينغمس فيها التلميذ نقية وصافية كلما كان اكتسابه للغة أرقى وأفضل.

هوامش:

[1] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، 1982, المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1،ص:30.

[2] شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللسانية الحديثة التنظير، المنهج والاجراء، 2013،مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، دط، ص:42

[3] ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، 1985، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ص:101.

[4] نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها، تر: محمد فتيح، 1993، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، ص: 83،84

[5] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص:34

[6] المرجع نفسه، ص: 35.

[7] – ينظر: شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللسانية الحديثة، ص:50.

[8] –أحمد عزوز, المدارس اللسانية أعلامها, ومبادؤها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي,2014,دار التنوير, الجزائر,ط1,ص199

[9] ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص: 64

[10] ينظر: نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، 2006، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص: 165.

[11] ينظر: ميشال زكريا، (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام،1983، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ص:47.

[12] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص:39.

[13] نعوم تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص:53.

[14] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص:78

[15] الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دت، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دط، ص:193.

[16]ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون وهي الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، تح: المستشرق أ.م. كاترمير عن طبعة باريس سنة 1858، المجلد الثالث،1996، مكتبة لبنان بيروت، دط، ص: 297.

[17]- المصدر نفسه ، ص:313

[18]-المصدر نفسه ، ص:281.

[19]- المصدر نفسه ، ص:279

[20]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:.313

[21]- المصدر نفسه ، ص:309

[22]المصدر نفسه ، ص: 310.

[23]-الفرابي أبو نصر محمد، الحروف، تح: محسن مهدي، 1970، دار المشرق، بيروت، دط، ص:135

[24]- ابن خلدون، المقدمة، ص: 276.

[25]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:306.

[26]- ينظر: المصدر نفسه ، ص:314.

[27]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 326

[28]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، الجزائر، دط، ج1،ص:193

[29]- ينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، 1985، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ص: 247.

[30]- ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ص:297

[31]- المصدر نفسه ، ص:315.

[32]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 312.

[33]- ينظر: المصدر نفسه ، ص: 313.

[34]- ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص:63.

[35]- ابن خلدون، المقدمة، ص:277

[36]- ينظر: ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ص:156-158

[37]- ينظر: أبو القاسم الزجاجي، الايضاح في علل النحو، تح:مازن المبارك، 1982،دار النفائس،بيروت،ط2، ص: 65